هوامش على خطاب ولي العهد:

تجذير الهوية العلمية للأمة وتكريس محدّدات الحوار الوطني

كتب: سعيد السريحي

كان المكان الذي تحدّث فيه صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني استثنائيا فجاء حديثه منسجما مع طبيعة المكان انطلاقا من شريحة المتلقين لحديثه ولكنه كان في الوقت نفسه متداخلا مع هموم الوطن الكبرى ولذلك لا يلبث هذا الحديث ان يتجاوز الشريحة المتلقية له ليصبح حديثا لكل مواطن في هذا الوطن الذي تحيط به التحديات وتفرض عليه وعيا يليق بأمة تحرص على هويتها ووحدتها كما تحرص على استمرار مسيرتها لبناء المستقبل الذي تكفل فيه عيشاً كريماً لابنائها.

المكان كان جامعة الملك فهد، تلك الجامعة الفتية التي تعد من اكثر جامعات المملكة عراقة والتصاقا بشؤون التقنية التي تعد السلاح الاول لمواجهة العصر وتطوراته، كما انها اكثر الجامعات عناية بالشأن الاقتصادي الذي يعتمد عليه بناء التنمية من حيث عنايتها بالدراسات حول البترول والمعادن واهتمامها بتخريج جيل ممن يمتلكون القدرة التقنية من ناحية والتعامل مع الشريان الاقتصادي المتمثل في البترول والمعادن.

ان الفلسفة التعليمية لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن هي فلسفة مستقبلية والعلوم التي تعنى بها هي علوم بحتة لاتكاد تنتمي الى هوية محددة مثل سائر العلوم التطبيقية لذلك جاءت حكمة ولي العهد لتأكد مفهوم الانتماء الذي حدّده سموه في قوله: (ايها الابناء الاعزاء: انكم تنتمون الى حضارة اسلامية عربية مجيدة قادت مسيرة العالم كله عبر قرون عديدة من الزمان).

ان سموه الكريم هنا يحرص على ألاّ يخطف ابناءه وهج المدنية الحديثة وسحر منجزاتها ومنبعها القادم من الغرب، لذا يعيدهم الى روح العلم نفسه من حيث انه لم يكن بمنأى عن امتهم ويذكرهم بتاريخ حضارتهم التي قادت العالم علميا لاحقاب طويلة استطاعت فيها ان تكون أمّة فاعلة طوّرت مختلف العلوم وشاركت في صياغة مختلف النظريات بحيث لا يجوز لمنصف ان يغمط هذه الامة حقها ولا يحق لاحد من ابنائها ان يجهل هذا الدور العظيم الذي لعبه اسلافه.

الامة العربية الاسلامية لم تكن تقود العالم في علوم الشريعة او علوم العربية فحسب ولم تكن جهودها تتوقف عند حدود العلوم النظرية بل كانت امة علمية كذلك تطوّرت على يد علمائها علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الفلك وعلوم العمران وغيرها من العلوم التي يعتقد من لايعرفون التاريخ انها علوم اجنبية علينا واننا لم نشارك فيها بنصيب.

ان الهوية العلمية التي اراد سموه الكريم تجذيرها في نفوس طلاب العلم هي الاساس الذي ينتج عنه امران في وقت واحد، أولهما الاعتزاز بتاريخنا المجيد وهو اعتزاز يمنع ذوبان الذات في بوتقة الآخر والانخطاف لسحر منجزاته، أما ثانيهما فتجسير الفجوة بيننا وبين هذه العلوم فلا تصبح بعدها مجرّد علوم لأمم اخرى نتتلمذ عليها وانما هي علوم شارك اسلافنا من العرب والمسلمين في وضع اسسها وجذورها وتصبح مهمتنا عندئذ هي وصل ما انفصل من تاريخنا واستكمال المشاريع التي تأسست على يد علماء الامة العربية الاسلامية.

من هنا يتحقق التواصل بين الشعوب التواصل المبني على معرفة الدور الذي لعبته كل أمة في تاريخ الثقافة الانسانية وعلومها المختلفة، وقد كانت الامة العربية الاسلامية امة منفتحة متفتحة استفادت من علوم اليونان والرومان، كما استفادت من مختلف الحضارات التي اتصلت بها كالحضارة الفارسية أو الهندية وبمثل هذا الانفتاح تمكنت من استيعاب ما انجزته تلك الحضارات في مختلف جوانب المعرفة والعلوم، كما ان انفتاح الامة العربية الاسلامية على مختلف الشعوب مكّن أوروبا في العصور الوسطى من الاتصال بالحضارة العربية الاسلامية وسهّل سبل انتقال العلوم المختلفة إليها وتمكّنت اوروبا من خلال ذلك من بناء حضارتها واستطاعت ان تنهض بدورها في تطوير العلوم حتى اصبحت على ماهي عليه اليوم.

هذا الانفتاح الذي اتسمت به الحضارة الاسلامية هو ما اشار اليه ولي العهد حين وصف الحضارة العربية الاسلامية بقوله: (هي حضارة منفتحة معتدلة جمعت بين الايمان والعلم ولقنت الدنيا دروسا في التسامح والبعد عن الغلو ونبذ التطرف).

وحين يتحدث سموه الكريم عن (الغلو والتطرف) فانه يضع يده على الازمة الحقيقية التي تعيشها الامة الاسلامية من حيث ظهور الاتجاهات المتطرفة والفئات المتسمة بالغلو وما يمكن ان يشكله ذلك كله من قطيعة مع العالم واثارة روح العداء بين الامم وما يمكن ان يجلبه ذلك كله من استعداء العالم ضد المسلمين وتشويه صورة الاسلام في نظر الاخرين. وإذا كان التطرّف والغلو وما ينبثق عنه من اعمال ارهابية يصدر عن بعض الذين يجهلون الاسلام وتسامحه فإنه يصدر كذلك من العملاء الذين يؤجرون ضمائرهم لاعداء الامة والمتربصين بها ويسعون الى تدمير اوطانهم بغية تحقيق مآربهم الدنيئة.

ولما كان التطرف والغلو من الامراض التي تصيب الفهم وتؤثر في العقل فإن السبيل الامثل لمقاومته هو الحوار انطلاقا من انه من المناقشة ينبثق النور، والحوار هو الوسيلة لإزالة غشاوة الجهل وتأكيد الحقائق ومعرفة الطريق الصحيح ومن شروط الحوار ان يكون حرّاً تتكافأ فيه الفرص والاطراف، غير ان هذا الحوار لا يمكن له ان يصبح حالة من الفوضى التي يمكن لها ان تنتهي به الى غير اهدافه التي يتوخاها القائمون عليه والمخلصون القائمون به، ولذلك لابدّ للحوار من ان تكون له محددات وشروط واذا كان كل شيء قابلا للحوار فإن ثمة حقلين لا يمكن المساس بهما هما العقيدة والوحدة الوطنية، فالعقيدة التي ليست من صنع البشر لا يمكن للبشر الحوار حولها كما ان وحدتنا الوطنية التي تعدّ اهم مكسب تاريخي لنا لا يمكن طرحها للأخذ والرد، واذا مانأينا بهذين الحقلين من ان يكونا موضعا للنقاش فإن النقاش عندها يصبح منفتحا على كافة آفاق المستقبل وذلك ما اشار اليه ولي العهد في ختام كلمته حين قال: (ان كل شيء لدينا يقبل الاخذ والردّ سوى العقيدة، وكل شيء يقبل المناقشة سوى الوطن ووحدته وعزّته وأمته، وفي ظل العقيدة وتحت راية الوطن سوف نسير الى الامام).